اجتهادات
نصيحة ديجول

الأخطار الخارجية ليست أهم ما يُهدد الولايات المتحدة ودورها العالمى. الخطر الأكبر عليها فى الداخل. إنه خطر تهافت النخب السياسية الأمريكية فى العقود الستة الأخيرة, بفعل الجمود الذى أخذ يُخيم على المشهد السياسى تدريجيًا منذ أواخر خمسينيات القرن الماضى، وبلغ ذروته مع الاطمئنان الزائف الذى اقترن بالانتصار فى الحرب الباردة0 ويحول هذا الجمود دون تجديد وإصلاح لازمين لتجنب أسوأ ما يحدث فى أى نظام سياسى، وهو تدوير النُخب نفسها وعدم ضخ دماء جديدة كافية فيه.

وهذا الجمود أحد العوامل التى تفسر تكرار الأخطاء، وعدم استيعاب الدروس، والعزوف عن الإنصات إلى نصائح مفيدة منذ نصيحة الرئيس الفرنسى الراحل شارل ديجول فى البدايات الأولى لحرب فيتنام0 فقد نصح الرئيس الأمريكى وقتها جون كينيدى بمراجعة السياسة الأمريكية فى الشرق الأقصى، وحذره من الغرق فى مستنقع فيتنام. وقال له وفق عدة مصادر أمريكية متطابقة تقريبا ما معناه أن واشنطن ستنزلق خطوة بعد أخرى إلى مستنقع عسكرى وسياسى بلا قاع، وستغرق فيه مهما أنفقت من أموال وأرسلت من جنود.

ومن بين ما نبه إليه ديجول أن القتال فى بلاد لا تعرفها بالغ الصعوبة، لأن المعلومات التى تجمعها وتعتمد عليها لا تكفى لتكوين المقدار الضرورى من المعرفة. وبرغم أن ديجول كان مُهتمًا أشد الاهتمام بالخرائط وما فيها من تضاريس، فقد اهتم أكثر بالطريقة التى يتعامل بها

الإنسان مع هذه التضاريس. فالجبال ليست مجرد صخور، والصحراء ليست رمالاً فقط. المهم هو علاقة الإنسان بها.

ولو أن العمر امتد بديجول حتى 2001، لكرر نصيحته للأمريكيين وبالحاح أكثر، لأن تضاريس أفغانستان أكثر تعقيدًا ولأن إلمام الأمريكيين بها ضعيف، مهما تكن معلوماتهم الاستخباراتية0 فقد ظنوا أن طالبان لن تقوم لها قائمة بعد النصر السريع عليها فى مطلع 2002. ولكن ما حدث أن معظم مقاتليها لجأوا إلى الجبال والمناطق النائية، ولم تمض 5 سنوات حتى أعادت تنظيم صفوفها وشنت حرب عصابات أرغمت الأمريكيين فى النهاية على قبول إعادة الوضع إلى ما كان عليه، بعد عشرين عامًا حفلت بما سيبقى موضع بحث ونقاش لوقت طويل.